نظرة المصادر الأوربية إلى تاريخ الجزائر في العهد العثماني

أ.آيت حبوش حميد[1]

إنّه من العسير الخوض في تاريخ الجزائر العثمانية دون الإطّ لاع على ما كتبه الأوروبيون من رحالة، وقناصل، و جواسيس و رهبان و سيّاح ومغامرين و أسرى الذين هم أجانب و دخلاء عن المجتمع الجزائري، أقاموا بين أحضانه فترة من الزمن تركوا انطباعاتهم التي أصبحت مصدرا مهما في كتابة تاريخ الجزائر العثماني، و قسم كبير من هذه المص ادر لا يمكن أن نستغني عنها أبدا، ففي كتب هؤلاء الأوروبيين شهادات وأوصافو تواريخ مضبوطة و إحصاءات و قوائم الحكام و تحليلا ت لحوادث خطيرة، وتقارير و تفاصيل لا نجدها في غير هذه الكتب.

و سنركّز في هذا البحث على سبعة مصادر هامة و هي:

المصدر الأول: "طبوغرافية تاريخ الجزائر العام"، الذي ألّفه **فراي دياڤودي هايدو**"

FRAY DIEGO DE HAEDO

المصدر الثاني: "تاريخ بربا ريا و قراصنتها" من تأليف: **الأب بيردان**:" ***Père Pierre Dan***".

المصدر الثالث: فهو بعنوان " مذكرات كاثكارات" الذي ألّفه "**جيمس ليندر كاثكارت**"

« ***James Leander CatchCart*** ».

المصدر الرابع :فعنوانه هو:"تونس و الجزائر في القرن 18" من تأليف : "**فونتور دي بارادي** "

venture de paradis

[1]أستاذ بقسم التاريخ ،جامعة وهران

المصدر الخامس ،بعنوان: "تاريخ مملكة الجزائر " من تأليف : " **لوجيي دو تاسي** " **laugier de tassy**

المصدر السادس ، عنوانه : "جولة في إيالة الجزائر " الذي ألفه :" **توماس شو** " **thomas shaw**

المصدر السابع ، فهو بعنوان : "نظرة على إيالة الجزائر " من تأليف :" **تيدنا** " : **thednat**

1 -**فراي دياڤو دي هايدو** **FRAY DIEGO DE HAËDO** : راهب إسباني تعرّض للأسر و الاختطاف من طرف رياس البحر الجزائريين في شهر أفريل عام 1578 بينما كان يستقل سفينة تابعة لقراصنة مالطا رفقة مائتين و تسعة و ثمانين شخصا كلّهم في قبضة الأسر، وفي سنة 1581 تم إطلاق سراحه، و قام بنشر أعماله تحت عنوان "طبوغرافية تاريخ الجزائر العام"[2].

و يعتبر هذا الكتاب من الوثائق النادرة و الهامة التي ترتبط بالجزائر التي كانت محطة للأسرى المسيحيين ومركزا هاما من مراكز القرار العثماني التركي، و موقعا متميزا للقراصنة و الإنكشارية

و للكتاب أهمية كبيرة لأسباب عديدة يأتي في مقدمتها أن صاحب هذا التأليف هو من الذين عاشوا ويلات الأسر في الجزائر، كما يعتبر من المستنيرين القلائل، التي حظيت باستضافتهم سجون الجزائر شأنه في ذلك شأن غيره من مشاهير الكتاب الإسبان من أمثال "دي ڤرفانتس ميقال"[3] لذا فشهادة هؤلاء تعدّ وثائق تاريخية لأنها صادرة عن شخص واع وعن شاهد عيان.

ينقسم الكتاب إلى بابين كبيرين باب خصّصه لتاريخ حكام الجزائر العثمانيين الأتراك وباب خصّص لوصف مدينة الجزائر العاصمة، فالجزء الأوّل منه تعرّض فيه المؤلف إلى حياة الأسرى المسيحيين ، كما

تعرّض بالذكر في الجزء الثاني لشهداء العقيدة منهم الذين ماتوا في غياهب سجون الجزائر الذين من بينهم على وجه الخصوص المسيحيّون الأسبان، أما الجزء الثالث لقد خصّص للمرابطين الجزائريين أو رجال الزوايا.

ولقد اعتمد "هايدو" في كتابه على شهادات حيّة سجّلها من أفواه بعض الأسرى، كما اعتمد على المصادر التاريخية المعروفة " وصف إفريقيا " لليون الإفريقي و جغرافية استر بون Estarbon في تحديد المواقع الجغرافية الطبيعية و الساحلية منذ عهد الرومان وقد خصص "الراهب هايدو" واحد و أربعين (41) فصلا للحديث عن كل أنواع الحياة الاجتماعية و عادات الجزائريين فقام كل من "BERBRUGGER" و "MONNEROU " بترجمة أجزاء ظهرت تباعا في المجلة الإفريقية العددين 14 و 15 كما ظهر جزء خاص بملوك الجزائر قام بترجمته GRAMONT M.DE.[4]

2 -**الأب بيير دان** : **Père Pierre Dan**: هو فرنسي الأصل و النشأة، و لكن المرجح أن يكون مولده في السنوات الأخيرة من القرن 16 م أو في مطلع القرن 17م، حائز على شهادة البكالوريا في علم اللاهوت (Theologies) من جامعة باريس، وقد انخرط في سلك رهبان منظمة الثالوث الأقدس و افتداء الأسرى [5] وأهلّه علمه و تجربته ليشغل مرتبة مدير و رئيس لدير المنظمة ببلدة شيل (Shell) الفرنسية على عهد الملك لويس الثالث عشر، و بهذه الصفة شارك ضمن بعثة منظمة الثالوث الأقدس في رحلة الإفتكاك بشمال إفريقيا من أجل افتداء الأسرى الفرنسيين بالجزائر و تونس، ثمّ تقلّد مهام إدارة و رئاسة دير المنظمة التي تأسست بالقصر الملكي فونطين-بلو (Fontaine-bleau) ليصبح في النهاية الراهب المقرب من الملك لويس الثالث عشر، وبتلك الصّفة ظل على رأس الدير المذكور في عهد الملك الجديد لويس الرابع عشر، حيث

سيكون في موقع متميز أهله لمتابعة مختلف رحلات زملائه رهبان منظمات الماتوران إلى شمال إفريقيا، لافتداء الأسرى، وخاصة رحلات 1641،1638،1643،1645،1648.[6]

بينما كانت رحلته إلى الجزائر يوم 12 جويلية 1634، بعد عوائق مختلفة أخرت موعد سفره، و قد مكّنته من تحرير اثنين و أربعين أسيرا عاد بهم إلى فرنسا في مارس 1635، كما سمحت له تلك الزيارة أن يجمع المادة الأولية لكتابه" تاريخ بربريا و قراصنتها"[7] الذي نشر بباريس سنة 1637، و في السنة الأولى التي توفي فيها سنة 1649 ظهرت طبعة جديدة للكتاب بها إضافات كثيرة، و هي تضم حوالي 550 صفحة من الحجم الكبير (30×21.5 سم)، و يضم المتن ستة أجزاء موزعة على أربعة وسبعين (74) فصلا في المجموع.

ففي الجزء الأول تحدث الكاتب على تاريخ القرصنة و شيوعها في شمال إفريقيا، خصص له ثمانية فصول، و تناول فيها تفسير مصطلحي "**بار باريا**" و "**باربارية**" مع وصف للبلاد و حكامها عبر التاريخ.

و في الجزء الثاني أشار "**الأب بيير دان**" إلى المدن القرصانية في شمال لإفريقيا، و أوضاعها و جزأه إلى 24 فصلا في خمس إخباريات : الخبر الأول: حول أوضاع مملكة الجزائر ومدينتها و دورها القرصاني، الخبر الثاني: حول مملكة تونس و مدينتها، و قراصنتها، الخبر الثالث تحدث على ممالك المغرب: و مدينة سلا و دورها القرصاني، الخبر الرابع خصص للمدن الإسلامية القرصانية الأخرى، الخبر الخامس، تحدث عن عقيدة الإسلام المنتشرة في شمال إفريقيا و مظاهر مجتمعها.

أما الجزء الثالث من الكتاب يتضمن أساليب العمل القرصاني و نتائجه، خصص له المؤلف ثمانية (08) فصول للاهتمام بالحياة العملية لقراصنة شمال إفريقيا مشيرا إلى أسباب نجاح المسلمين في هذا المجال، وكيفية استعدادهم و تجهيزاتهم المعتمدة، ثم يتطرق إلى أهمية الغنائم و كيفية توزيعها.

و في الجزء الرابع يشير المؤلف إلى أهمية العلوج، ووضعيتهم و أدوار هم القرصانية و العسكرية، وخصّص لهم 10 فصول كاملة، متطرقا إلى دوافع المسيحيين في التحول إلى علوج، ومساعي المسلمين في إجبارهم على ذلك ، و مع وصف للطقوس الإحتفالية، مقدما أعداد العلوج حسب المدن القرصانية، ثم يتحدث عن العقوبات التي يتعرض لها من ارتدّ منهم عن ا لإسلام، أو حاول الفرار إلى الأراضي المسيحية[8] .

أما الجزء الخامس تحدث المؤلف حول معاناة المستبعدين المسيحيين، و كيفية افتدائهم، حيث وضعه في 16 فصلا تطرق فيه للظروف السلبية التي يعانون منها منذ سقوطهم في الأسر برا أو بحرا، وطرق استنطاقهم و بيعهم، و التعسفات و أنواع السخرة التي يتعرضون لها خصوصا في طواقم التجديف مع وصف أماكن الاعتقال و أساليب المعاقبة.

و في الجزء السادس و الأخير تطرق المؤلف إلى أدوار منظمة الثالوث الأقدس، يتضمن 08 فصول للتحدث عن ظروف نشأتها و انتشارها في العالم المسيحي واهتمامها منذ البداية بافتكاك الأسرى، كما أشار إلى أدوارها التاريخية في إسعاف وتحفيز الحملات الصليبية السابقة [9].

لقد صاغ بيير دان كتابه بأسلوب اللغة الفرنسية القديمة متأثرا بعمق الروح الدينية الكاثوليكية نظرا لتكوينه المؤسس في علم اللاهوت، إذ لا تخلو صفحة من صفحات الكتاب من الإشارات المسيحية الممجدة للكنيسة الكاثوليكية و المتعصبة ضد العقيدة الإسلامية.

و لقد اعتمد **"دان"** في تأليفه هذا على سعة اطلاعه التي يشهد عليها تنوع و غزارة المصادر التي اعتمد عليها، بدءا بالمصادر الدينية البارزة، و يتضح ذلك بجلاء في تعدّد الإستشهادات المأخوذة من الكتب السماوية (الإنجيل، التوراة) إلى جانب الكتب اللاهوتية المعتمدة لدى الكنيسة و المؤلفة من طرف علمائها في مختلف العصور أمثال: القديس جيروم، القديس امبرواز، القديس أوغسطين، أوزيب يوحنا وغيرهم، كما نجد حضورا قويا للفكر القديم في ثقافة المؤلف ومرجعياته، إذ أن أزيد من نصف

مصادره تعود لفترة ماقبل القرن الثالث الميلادي ،كما نجده عند تناوله لتاريخ شمال إفريقيا وأوضاعها يعتمد بصفة أساسية على معاينته الميدانية نظرا لضآلة الكتب المهتمة بالمنطقة تاريخيا (ليون الإفريقي، مار مول كاربخال)[10].

للكتاب أهمية كبيرة بالنسبة للباحث المهتم بتاريخ شمال إفريقيا و تاريخ الجزائر بشكل خاص، بفضل ما تضمنه من معلومات جديرة بالاهتمام، و لا سيما الجزء الثالث من الكتاب، يتميز بغزارة المعطيات التي حاز بها المؤلف من موقعه كباحث من خلال المصادر المتنوعة التي استغلها بفطنة، أو من موقعه رحّالة عاين عن كثب بعضا من الوقائع المعاصرة أو كمؤرخ فض ولي يستقضي الروايات و الشهادات، و التي أتت في معظمها غير متعارضة مع سيرورة الأحداث، و تغطي الفراغ الذي خلّفه التراث التاريخي المحلي خلال حقبة تميزت باضطراب الأوضاع و التي يقابلها سكوت المصادر[11].

3 -جيمس ليندر كاثكارت:James_Leander cathcart

ولد سنة 1767 بمقاطعة "ميث الغربية" بإيرلندا انتقل مع والده إلى أمريكا في سنّ مبكّرة، وكان يشتغل في سفينة ماريا بوسطن " التي استولى الجزائريون عليها في شهر جويلية سنة 1785. و لم يدم إلا مدّة قصيرة ليصبح موظفا ومديرا لمكتب الداي حسن باشا [12] في الجزائر حيث كان يعمل واسطة بين الداي و السفراء الأجانب حينما يعجز هؤلاء عن الحصول على مقابلة مع الداي.

و في سنة 1796،عاد كاثكارت إلى الولايات المتحدة يحمل معه رسائل تتعلق بصياغة بنود معاهدة السلام مع الجزائر، و قد شغل وظيفة حكومية في فيلادلفيا لمدة سنتين قبل أن تعينه حكومته قنصلا عاما في تونس و طرابلس. وقد بلغ مجموع السنوات التي قضاها في مختلف الأماكن بصفته قنصلا أكثر

من عشرين سنة، ثمّ عاد إلى الولايات المتحدة ليعيّن في مناصب إدارية في كل من لويزيانا، وواشنطن، حتى أن وافته المنية يوم 6 أكتوبر 1843م [13].

لم ينشر كاثكارت مذكراته في حياته و إنما تولّت نشرها ابنته "نيوكيرك-NEW KIRK -" بعد وفاته بنحو نصف قرن من الزمن.

و لقد طبع الكتاب بدون أن يحمل اسم الناشر (دار النشر) و لا التاريخ الذي نشر فيه، وكل ما ورد على غلافه هو اسم المطبعة: هيرالد التي طبع فيها في مدينة "لابورت" و اللغة التي كتب بها هي اللغة الإنجليزية السائدة في القرن السابع عشر و القرن الثامن عشر، وهي لغة المعمّرين الأمريكان، تبتعد عن الاستعارة و المجاز و الصور الأدبية[14].

لقد تناول كاثكارت في مذكراته، العلاقات الجزائرية الأمريكية، و هي المصدر الأساسي و الوحيد في هذا المجال في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، وذلك لأن كاثكارت هو الذي تولّى المفاوضات مع الداي في مختلف مراحلها لعقد المعاهدة الأولى مع أمريكا، مستغلا في ذلك معرفته بنفسيّة الدّاي و بهيكل العلاقات الخارجية بصفة عامة. كما تطرق "كاثكارت" في مذكراته إلى علاقات الجزائر بالدول الأوروبية، ولقد وصفها بأنها مليئة بالتنافس و التطاحن من أجل المصالح السياسية و التجارية، وقد خصّص فصلا لوصف الشؤون البريطانية في الجزائر.

كما أشار "كاثكارت" إلى المؤسسات و المنشآت العمومية، ووصفها وصفا دقيقا، فيتح دث بصفته شاهد عيان، عن المدارس و المساجد و السجون ...وقد خصّص فصلا لوصف قصر الدّاي من الداخل في عهد حسن باشا، ويعتبر وثيقة هامة لا مثيل لها حيث تعرّفنا بمختلف أجنحة القصر ودهاليزه ومرافقه و شكله وزخارفه.

كما تطرق في مذكراته إلى الحالة الاجتماعية، بالرغم ، أنّه لم يختلط بالشعب الجزائري، لأنه عبد لا يسمح له بالخروج إلا في مواسم الأعياد، سجّل كاثكارت أن الشعب كان يعاني من الإهمال و الإرهاق بالضرائب و الظلم و الجوع و الأمراض، تحت ضل الحكم العثماني، كما أن وصفه لنظام السجون في أواخر القرن الثامن عشر، يمكن أن يعتبر وثيقة فريدة، سيجد فيه الباحث تفاصيل دقيقة و شاملة بشأن تشغيل الأسرى وطعامهم ونومهم، و الرقابة و الإدارة..

كما سجّل "كاثكارت" كثيرا من الانطباعات التي علقت بذهنه من خلال اتصالاته ومعاملاته مع عدد من الشخصيات السياسية و الإدارية، ومن أهم هذه الشخصيات التي وصفها، القنصل السويدي"سكجولدر براند" القنصل الأمريكي "أوبراين" و القنصل البريطاني "لوجي".

كما تناولت المذكرات دور اليهود في قصر الداي، و بصفة خاصة دور " كوهين بكري" الذي كان موظفا ومترجما في قصر الداي، قبل أن يقيم "إمبراطورية القمح" في أوائل القرن التاسع عشر، و الذي كان من الأدوات الأساسية التي جلبت ويلات الاستعمار الفرنسي على الجزائر[15].

4 - **فونتور دي بارادي**: "**Venture de Paradis** ":

ولد جون ميشال فونتور دي بارادي يوم 08 ماي 1739 بمرسيليا من أم يونانية، وأب فرنسي كان يعمل كمترجم في العديد من قنصليات فرنسا بالمشرق وعند بلوغه سن الثالثة عشر، استفاد من منحة دراسية لتعلّم التركية و العربية في معهد اللغات الشرقية بباريس، وقد زاول وظائف عديدة في سفارة فرنسا باسطنبول، وفي قنصلياتها الموزّعة على مختلف المدن العثمانية، وبصفة خاصة في تونس بين 1780-1786، ثم في الجزائر بين 1788-1790 [16] وتواجده بالجزائر في تلك الفترة ليس اعتباطيا بل أوفد من طرف الدولة الفرنسية لتسوية خلافات نشبت بين الجزائر وفرنسا، فأقام سنتين بالعاصمة الجزائرية درس خلالها نظمها وتراتيبها، وكتب عنها المذكرات القيّمة،كما درس اللغة البربرية دراسة واسعة و ألف قاموسا

يترجم الفرنسية إلى العربية والبربرية[17]. شارك فونتور دي بارادي في حملة نابليون بونابارت (Napoleon Bonaparte) على مصر (1798-1799) وجعله مستشاره لعلاقاته مع سكان البلد، وكان له الفضل في ضمّ الكثير من القبائل العربية حول بونابرت، وبقي مساعدا له حتى أصيب بمرض خطير أثناء انسحاب فرق الجيش التي كانت تحاول الانضمام لحامياتها في القاهرة، وكان ذلك قبل 15 ماي 1799، وقد علق "بونابرت" على موته قائلا :"لقد مات فونتور إنها لخسارة كبيرة لنا".

يعتبر فونتور دي بارادي أحد أكبر مستشرقي في القرن الثامن عشر، نادى بضرورة تشجيع دراسة اللغات الشرقية في فرنسا[18].

وقد ذكره الجبرتي في تاريخه و أثنى عليه وامتداح أخلاقه ومواهبه.

ولقد ترك "فونتور" عدة مؤلفات بعضها مطبوع وبعضها لا يزال مخطوطا بالمكتبة الوطنية بباريس ومن بين مؤلفاته ترجمة كثير من الكتب العربية النادرة و من أهم ما ترجمه : تاريخ الخلفاء و المماليك بمصر للشيخ يوسف المقدسي، و الموجز الجغرافي و التاريخي لدولة المماليك لابن شاهين الزيري[19].

وأهمّ ما ألّفه فونتور دي بارادي، كتاب تحت عنوان "تونس و الجزائر في القرن 18 م" وهو عبارة عن تقارير عديدة، تتضمن معلومات غزيرة عن الحياة السياسية و الاجتماعية في الإيالتين: تونس و الجزائر، وقد جمع تلك التقارير الفرنسي " جوزيف كوك- Joseph Cuoq" وحققها ونشرها تحت العنوان المشار إليه في باريس عام 1983. و الكتاب يعتبر بحق مصدرا تاريخيا متميّزا من حيث معلوماته و الحقائق التي جاء بها، و فريدا من نوعه من حيث التفاصيل التاريخية التي يحتوي عليها بخصوص سير الإدارة الجزائرية بمختلف أجهزتها العسكرية و المالية و الأمنية، وضمّنه معلومات الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الإيالتين وقد ساعدت المؤلف معرفته الجيدة باللغة العثمانية و العربية على فهم أغلب المسائل المتعلقة بتلك الموضوعات.

وقد تميز هذا الكتاب بالدقة في تسجيل الأحداث ووصفها، وهي الميزة التي تكا د لا توجد في المؤلفات الأوروبية الأخرى في تلك الفترة

5-لوجيي دوتاسي: « Laugier de Tassy »:

هذا الرجل غير معروف جيدا "فألبير دوفو" الذي وضع كشافا لأهم الفرنسيين الذين أقاموا بالجزائر من سنة 1686 حتى سنة 1830، خصّص له نبذة صغيرة عن حياته، اسمه الكامل: « Laugier jacques Philippe » موظف لدى القنصلية الفرنسية بالجزائر كموثق للعقود بقرار يوم 27 جويلية 1717، و تم تسجيله بالجزائر يوم 16 جانفي 1718 و بعد إقامة دامت نصف سنة تقريبا، يغادر بسرعة و بلا رجعة يوم 02 جويلية 1718 تاركا للقنصل الفرنسي " م بوم « M Baume عبء ديوان القنصلية.

و قد شكل رحيله نفسه موضوع ملاحظة في سجل ديوان القنصلية: "طلب لوجي الرحيل و قد ذهب على متن سفينة المعلم "موليني دوكاسيس Moulinier de cassis" هذا اليوم الثاني من جويلية سنة 1718 م" و في سنة 1725 يشغل منصب مفوّض البحرية لملك فرنسا بأمستردام أين نشر كتابه "تاريخ مملكة الجزائر" و لقد كان على اتصال مباشر مع واقع مدينة الجزائر[20].

و في سنة 1727، يطبع بباريس بالعنوان الكامل: "تاريخ مملكة الجزائر، حكومتها و قوتها البرية و البحرية و مداخليها، الشرطة، القضاء، السياسة و التجارة".

و هذا المصدر عبارة عن دراسة دقيقة و مفصلة حول تاريخ الإيالة، نظامها الاقتصادي و السياسي و الاجتماعي.

و لقد تمّ إعادة طبع الكتاب عدة مرات سنة 1732، في أمستردام، سنة 1750بلاهاي، كما ترجمته إلى عدة لغات إلى اللغة الانجليزية، الألمانية سنة 1753، الايطالية سنة 1754 و الفرنسية سنة 1757 م.

إن موقف لوجيي دوتاسي من خلال هذا الكتاب هو وضع حدّ لكل الأحكام المسبقة السائدة في أذهان رجال الدين في أوروبا، و تصحيحي الأخطاء الشائعة و النظرة الحاقدة إلى الدّول الأخرى و شعوبها خاصة في شمال إفريقيا و بالتحديد الجزائر، رغم أن هناك سلبيات في نظام الحكم التركي، إلا أن هناك إيجابيات لا يمكن إنكارها، و بذلك يمثل "دوتاسي" تيارا فكريا جديدا في أوروبا الذي بدأ يبرز في منتصف القرن 18 م[21].

6-الدكتور[22]: توماس شو TOMAS SHAW:

يعد من أشهر الرحالة الأوروبيين الذين زاروا شمال إفريقيا في بداية القرن الثامن عشر، و هو انجليزي، كان كاهنا بالوكالة الانجليزية في الجزائر، و يتفق الجميع على قيمة مهمته العلمية التي أنجزها في هذا البلد خلال الاثنين عشرة سنة التي أقامها بالجزائر من 1720 إلى 1732، إلا أنه في هذه الفترة رغم ارتباطاته بالوكالة، كان يسافر كثيرا حيث زار مع ظم المدن الجزائرية و وصل إلى جبال ترارا [23] (TRARA) غربا كما قلم بجولة في وهران و المدن الساحلية الأخرى، و ذهب شرقا إلى جرجرة، و السواحل مثل بونة و باستيون فرنسا، و بالإضافة إلى بلاد الجزائر. زار الدكتور تونس، و بلاد المشرق كسوريا و مصر.

و لقد استطاع "شو" أن يقدم عملا نادرا بعنوان "جولات في ولايات متعددة ببلاد البربر و الشرق " في جزئين تضمنا أوصافا دقيقة و تفاصيل عن بلاد الجزائر و خاصة عن ريفها و منتجاتها، كما تضمنا معلومات عن الحياة السياسية و الإدارية و الاجتماعية.

و يعدّ "شو" من الدارسين و الرحالة الذين حاولوا التحدث عن بلاد الجزائر خلال النصف الأول من القرن 18 م إذ رسم خريطة وضّح عليها معالم جغرافية و حدّد بها حدود إيالة الجزائر و خاصة حدود بايليك الشرق الجزائري.

و لقد طبعت أعمال الدكتور "شو" باللغة الانجليزية مرتين بأكسفورد سنة 1738 و بلندن عام 1757، مثلما ترجمت هذه الأعمال إلى الفرنسية مرتين الأولى طبعة لاهاي عام 1743[24] و الثانية طبعة باريس عام 1930[25].

7-تيدنا: THEDNAT:

ولد تيدنا سنة 1758 بفرنسا من عائلة كاثوليكية ميسورة الحال، و منذ أن كان صبيا وضعته أسرته في مدرسة كاثوليكية، لكي يصبح من رجال الدين إلا أنه أبدى عدم استعداده لممارسة هذه الحياة الدينية، فأنظم إلى فيلق الحامية العسكرية في كورسيكا فلم ينتظر كثيرا ليتوقف عن ا لعمل العسكري و فضّل العمل المدني الإداري في وظيفة كاتب لوكيل مقاطعة، و لكنه حبّه للأسفار قاده نحو مدينتي "ليفورن Livourne" و "قاديس Cadix" حيث عاش في منزل أحد أقرباء أبيه، ثم مارس مهنة نقل براميل الخمر من مالاقا إلى مرسيليا، على متن سفينة إسبانية التي تعرضت إلى القراصنة، و تم أسر "تيدنا" و من معه، و من حسن حظه أشتراه في الحين باي معسكر [26] الذي كان يحتاج إلى شخص مثقف و مخلص لإدارة منزله، فبقي في قصره و في خدمته مدة ثلاثة أعوام و سبعة أشهر، تدرّج تيدنا خلالها إلى أن صار خزندار[27]. كان تيدنا يرافق الباي محمد ا لكبير في كل تنقلاته و على هذا الأساس تعتبر مذكراته [28] مصدرا هاما حيث عرفنا بسلوك هذا الباي و بنظام حكمه، و علاقاته مع مختلف شرائح المجتمع الجزائري من جهة، و بين الجزائر و أوربا من جهة أخرى [29]. و قد أكسبته مغامراته و معاملاته مع أهل غرب الجزائر أشياء كثيرة قلّما وجدنا غيره قد حصل عليها إذ كان يتقن أكثر من لغة كالإسبانية الايطالية و العربية و ثقافتها، الأمر الذي أهّله أن يتولى مهاما في حياة الدبلوماسية بعد استرجاع حريته و عودته إلى

فرنسا. و في سنة 1785 كتب هذه المذكرات في إحدى مستشفيات زوريخ (Zurikh) و لقد جاءت على شكل اعترافات و هو مريض.

و قد ساهم تيدنا في إثراء الخطة الفرنسية لاحتلال الجزائر، حيث أسرع في جمع ذكرياته و جعلها في مذكرة تحت عنوان : " نظرة على إيالة الجزائر " و وجّهها إلى تاليران . و ذكر فيها أعمال القراصنة و وحشية "البربريين" و وضّح أن سلطنة الداي و البايات الثلاث قائمة على أقلية من العسكريين ذوي الامتيازات، و أن القوة يدعمها الداي المستبد في الجزائر و قائمة على جبن الدّول التجارية المستعدة دائما لدفع الإتاوة أو الضرائب[30] و أن حملة عسكرية مدبّرة أحسن تدبير ستجعلها سيدة البلد و لا تكلّف شيئا للحكومة، لأن كنز و ثروات الداي و الاستيلاء عليها يغطي كل المصاريف. و كما اقترح إرسال جيش إلى تنس ثم محاصرة الجزائر بالاتفاق مع الأسطول فيرغم الداي على تسليم الكنز و كل المراكب الحربية و بالتالي تتمكن فرنسا من بسط السيطرة على الجزائر.

و لقد كانت مثل هذه المعلومات مفاتيح تمكنت بها السلطة الفرنسية من فتح أبواب الجزائر العاصمة عام 1830[31].

و مهما يكن فإن مذكرات تيدنا قدّمت لنا صورة واضحة عن الحياة الاقتصادية و الاجتماعية للجزائر، و المعاملة الحسنة التي كان يحظى بها الأسرى المسحيين في الجزائر . كما قدمت لنا أيضا صورة واضحة عن أحد البايات الكبار الذين عرفتهم الإيالة الجزائرية في القرن 18 م.

يتميز تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية ، بتنوع المصادر الغربية و غزارتها و هي ذات جنسيات مختلفة منها الفرنسية ، الإسبانية و الإيطالية ، الانجليزية و الأمريكية ...

وهي عبارة عن رحلات أو تقارير أو مذكرات ألفت من طرف قناصل أو رحالة أو جواسيس أو رهبان أو أسرى تعرفوا على المنطقة . و غطوا تقريبا مختلف جوانب الحياة السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية و الثقافية في الجزائر ، بل تجاوز ذلك البعض منهم إلى دراسة الجغرافيا و الحيوان و النبات و المعادن ، وكلما زاد نفوذ الجزائر على الساحة الدولية ، او في دائرة البحر الأبيض المتوسط كلما تحول إهتمام الأوربيين إلى تخوف أو إلى سخط كانا أقوى دافع إلى تتبع كل ما يحدث في بلادنا ليصبح موضوع دراسة و تحليل.

الهوامش

(1) هذا الكتاب حسب رأي المحققين نسب خطأ للراهب دياقو دي هايدو و الذي قام بنشره لأول مرة سنة 1612م في مطابع دياقو فيرناديث دي كردوبا بنفقة أنطونيو كويو أحد تجار الكتب و في الإهداء يشير الناشر إلى نسبة هذا الكتاب إلى أسقف باليرمو و حاكم مملكة صقلية Don Diego de Haëdo إلا أن كلا من الدكتور Emilio Zola و Georges Camicas فإنهما يؤكدان عدم صحة انتساب هذا الكتاب لدياقودي هايدو في حين يظل كل من الكتاب الفرنسيين Grammant Ferdinand denid. Henri de يلحان على وجود أسير بسجون الجزائر يعرف بهذا الاسم ما بين عامي 1578-1581 استنادا إلى الأب بيير دان في مخطوطه : " مشاهير الأسرى" الموجود في مكتبة مزارين.

(2) كاتب اسباني، ولد سنة 1547، انخراط في الجيش الإسباني، توفي سنة 1616م.

(3) عبد الله ،حمادي: "جزائر القرن الساد س عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الأسبان " مجلة المصادر " المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة نوفمبر 1954 العدد 06 مارس 2002 ص 14،15.

(4) تمثلت مهمة المنظمة في تحرير افتداء الأسرى الأوروبيين، حيث كانت تخصص ثلث مداخليها لذلك، و قد قامت بحوالي ستين (60) عملية افتداء انطلاقا من الأراضي الفرنسية من القرن الخامس إلى القرن الثامن عشر، تم خلالها تحرير حوالي ستة آلاف أسير، أنظر

Denis.brahimi .opinions et regards des européens sur le Maghreb aux 17éme et 18éme siècle s.n.e.d.alger 1978 p 13.

(5) حسن أميلي " النظام العسكري في الولايات المغاربية العثمانية من خلال المؤرخين الفرنسيين نيكولادي نيكولادي و الراهب بيير دان" ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات و مناظرات رقم 123، طبعة 2005، ص 179.

(6) PIERRE, DAN ; Histoire de la barbarie et de ses corsaires, pierre rocolet, paris 1637.

(7) حسن أميلي " تاريخ بربارية و قراصنتها للراهب بيير دان " في م ت م مؤسسة التميمي للبحث و المعلومات زغوان العدد 106 فيفري 2002 ص ص 176-177.

(8) نفسه، ص ص 178-179.

(9) نفسه، ص ص: 179-180

(10) أنظر ترجمته و خصوصيات مؤلفه في : بيير دان : تاريخ بارباريا و قراصنتها " تعريب حسن أميلي- المجلة التاريخية المغاربية- مؤسسة التميمي: الأعداد 106-107-108 ، سنة 2002، تونس.

(11) حسن باشا: حكم بين سنتي 1791-1798 في عهده تمّ فتح مدينة وهران سنة 1792 و طرد الإسبان منها

(12) جيمس، كاثكارت : مذكرات أسير الداي كاثكارت، قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة و تعليق- إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية 1982، ص 09-10

(13) نفسه، ص ص5-6

(14) نفسه، ص ص6-8

(15) Venture de Paradis : Tunis et Alger au XVIII e Siècle, Sindbad, Paris, 1983, PP9-10.

(16) أحمد توفيق، المدني : محمد عثمان باشا داي الجزا ئر 1766-1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986- ص161

(17) Venture de Paradis, OP.cit PP13-14

(18) أحمد توفيق، المدني: المرجع السابق، ص 162.

(19) Denis Brahimi, Op cit P 121

(20) Denis Brahimi, Op cit PP 121-122-125-126

(21) إن لقب دكتور لاتيني في الأصل، يهودي في النشأة، أطلقه اليهود على حاخام الشريعة اليهودية، و أخذه عنهم المسيحيون و أطلقوه على عالم اللاهوت "الشريعة المسيحية : **أنظر غازي عناية** : إعداد البحث العلمي، ليسانس ماجستير دكتوراة، دار

الشهاب، باتنة 1985 ص 24 لقد أطلق لقب دكتور علي توماس شو لأنه كان عالما و أيضا أكليركيا (Eclésiastique) أي عضو في إكليروس الكنيسة: أنظر: Thomas Shaw, voyage dans la régence d'Alger, traduit par J mac Carthy, Bouslama

(22) – جبال ترارا: هي سلسلة جبلية على بعد 5 فراسخ (فراسخ = 45 كلم) عن وجدة إحدى مدن مملكة المغرب تمتد هذه الجبال من الجنوب إلى الشمال و طولها حوالي 16 فرسخا و سفوحها مزرعة بعدة محاصيل، و السكان الذين يقطنون فيها لا يدفعون الكثير من الضرائب، فإن ضايقهم الجزائريون عبروا نحو المغرب، و إذا أراد ملك المغرب إشراكهم في طلب خدمة ما عادوا نحو الجزائر : أنظر: régences de Tunis et .Louiche René, desfontaines : fragments d'un voyage dans les d'Alger, tome second, librairie de Gide, Paris 1838 P 177

(23) Voyage de Monsieur Shaw dans la régence d'Alge

(24) Shaw, voyage dans la régence d'Alger traduit de l'anglais par Mac Cathy, – Paris 1830

(25) هو محمد بن عثمان باشا الملقب في التاريخ بمحمد الكبير تولى منصب الباي في عهد الداي محمد عثمان باشا (1766–1791)و منحه هذا الداي لقب الكبير بعد انتصاره و دخوله وهران .

(26) الخزندار : هو الذي يقوم بحفظ ال ثروة و ترتيبها و تسييرها ، مثلما يقوم بالتفاوض مع الهيئات الأجنبية ، أنظر : venture ,de paradis, Alger au 18e siecle , in R.A N 40.1896 PP272 ,273

(27) « Mémoire de thedmat ; écrites à ZURICH en 1785 » in .R.A., Année : 1948, PP. 157-183, 330-363

(28) أحميدة عميرواي، المرجع السابق، ص 32–33–34.

(29) هناك دول كثيرة تدفع الضرائب لإيالة الجزائر، إذا قدرت هذه الضرائب سنة 1822 بـ126 ألف بياستر أي بنسبة 29% من مداخيل ميزانية الخزينة أنظر : وليام شالر: مذكرات وليام شالر، تعريب : إسماعيل العربي، ش، و، ن، ت، الجزائر 1982، ص 69-70

(30) أحميدة ، عميراوي ، المرجع السابق ، ص 40–41